

جامعة أم القرى
كلية اللغة العربية
قسم الأدب

مدخل لدراسة الأدب

أستاذة المقرر:

د. ندى بنت محمد بن مريسي الحارثي

للتواصل:

nmhartyi@uqu.edu.sa

تعريف الأدب

معنى كلمة (أدب) في العصر الجاهلي: كلمة أدب من الكلمات التي تطور معناها بتطور حياة الأمة العربية، و انتقالها من دور البداوة إلى أدوار المدينة و الحضارة، و قد اختلفت عليها معانٍ متقاربة، حتى انتهى بها المطاف إلى أن تخصصت في معناها الذي يتبادر إلى الأذهان اليوم حين تطلق الكلمة و يراد بها كل ما صاغه الإنسان من فكرة و وجدان، في قالب لغوي إنشائي بليغ، يرمي إلى التأثير في عواطف القراء و المستمعين، سواء أكان شعراً أم نثراً. و الكلمة في أصل استعمالها تأخذ جانباً حسيّاً وفق إطارٍ من دلالة ورد استعمالها على ألسنة الشعراء بمعنى الدعوة إلى الطعام، وقد جاء ذلك على لسان طرفة ابن العبد:

نحن في المشتاة ندعو الجفلا لا ترى الآدب منا ينتقر

و على الرغم من استخدام الكلمة في الجانب الحسي. لكنها لا تتناقض مع تضمناها للأدلة أخلاقية تهاديبية، إذ من المعروف أن طبيعة إقامة الولائم، ودعوة الناس إليها كرمًا و سخاء، أمراً يستدعي كثيراً من لين الأخلاق و حسن اللياقة و الطُرف و في الأدلة المفهومة من قول شاعر جاهلي و هو كعب بن سعد الغنوي:

حبيبٌ إلى الزوار عيشان بيته خميل المحيّا شبّ و هو أديب

معنى كلمة (أدب) في عصر صدر الإسلام: و مع أول تطور دلالي يطرأ على الكلمة نلاحظ تركيزاً على الدلالة التعليمية، لاسيما في عصر صدر فيما جاء على لسان النبي الكريم ح في حوار بينه و بين علي بن أبي طالب و كان مما جاء فيه قول الأخير: يارسول الله نحن بنو أب واحد، نراك تكلم وفود العرب بما لا نفهم أكثره، فقال النبي ﷺ: (أدبني ربي فأحسن تأديبي). وهو قول ينم عن دلالة تعليمية، يشير فيها الرسول الكريم. انه تلقاها عن ربه، و أتقن على إثرها استيعاب الألسنة المختلفة لصنوف المخاطبين، في نفس الوقت الذي لا تتنافى فيه الدلالة التعليمية مع الدلالة القديمة، و هو الجانب التربوي الأخلاقي، الذي بقي في عهد

النبوة و يدلّ عليه، قول النبي ح في حديث ابن مسعود: (إنّ القرآن مأدبة الله في الأرض)، و بالمعنى الخلقى التهذيبي، قال سهيل بن حنظلة الغنوي:

لا يمنع الناس مني ما أدرت و لا
أعطيهم ما أرادوا حسن ذا
أدبا.

معنى كلمة (أدب) في العصر الأموي: حين نصل إلى العصر الأموي نجد هذا الجانب التعليمي قد تحدد و قوي استعماله، متجاوزاً مع الجانب التهذيبي، حين كثر المعلمون في بلاط الخلفاء و الأمراء، يعلمون أولاهم الثقافة الإسلامية و العربية، و المعارف المختلفة و الشائعة في هذا العصر. وقد قويت الحركة العلمية آنذاك- كالقصاص و الأخبار و الشعر و الأنساب و الأيام. فضلاً عن طرائق السلوك، و صارت طبقة المعلمين تُعرف بالمؤدبين، و كان المعلم الذي يجمع أشتات العلوم يسمى أديباً.

معنى ذلك أنهم اشتقوا من كلمة (أدب)، كلمة (المؤدب) اشتملت على معنى تعليمي، فالمؤدبون هم الذين يعلمون أبناء الخلفاء الأخلاق و الثقافة و الشعر و الخطابة و أخبار العرب و أنسابهم و أيامهم في الجاهلية و الإسلام. وظل معنى (التثقيف) مفهوماً من كلمة التأديب في هذا العصر، حتى أطلق على طائفة من ممتازي الأساتذة اسم (المؤدبين)، وهم القائمون بأمور التعليم على النحو المعروف أيام بني أمية، وهو التعليم بطريق الرواية للشعر و الأخبار و ما يتصل بالعصر الجاهلي. و صارت كلمة (أدب) تدل منذ العصر الأموي على هذا النوع من الثقافة، و اتاح هذا الاستخدام الجديد لكلمة (الأدب) أن تصبح مقابلة لكلمة (العلم) الذي كان يطلق حينئذٍ على الشريعة الإسلامية و ما يتصل بها من دراسة الفقه و الحديث النبوي و تفسير القرآن الكريم.

معنى كلمة (أدب) في العصر العباسي: و لما قويت الحركة العلمية، و بلغت ذروة كمالها في العصر العباسي، ممثلة في تأليف الكتب، و تصنيف المعارف و النهوض بالترجمة، صار هذا العصر يُعرف بالنهضة في مختلف النواحي الثقافية، استقلت كلمة (أدب) و تفردت بالمعنى الذي ظلّ سائداً حتى الآن، فصارت تُطلق على الكلام الجيد من المنظوم و المنثور، و ما يتناوله بالتفسير و الشرح، و النقد و التعليق. كما استمرت لقباً على أولئك في منتصف

القرن الثالث ، ومن ذلك كان منشأ الكلمة المشهورة (حرفة الأدب) وأول من قالها الخليل بن أحمد الفراهيدي صاحب العروض المتوفى سنة ١٧٥هـ ، وذلك في قوله كما جاء في المضاف والمنسوب للثعالبي : (حرفة الأدب آفة الأدباء) ؛ لأنهم كانوا يتكسبون بالتعليم ولا يؤدبون إلا ابتغاء المنالة، وذلك في حقيقة معنى الحرفة على إطلاقها . و نجد بيتاً مشهوراً لأبي الطيب المتنبّي يستعمل فيه كلمة (أدب)، بمعنى الإنتاج الشعري، و البراعة اللغوية المتمثلة في شاعريته، فقال:

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي و أسمعت كلماتي من به صمم.

وهكذا شهد القرن الثالث الهجري تحديداً لمعنى الأدب ، وأنه المأثور من الشعر والنثر وما يتصل بهما ، أو يفسرهما ، أو يدل على مواضع الجمال فيهما . فهذا محمد بن المبرد المتوفى سنة ٢٥٨هـ يقول في صدر كتابه (الكامل) : (هذا كتاب ألفناه يجمع ضرباً من الآداب ما بين كلام منشور ، وشعر موصوف ، ومثل سائر ، وموعظة بالغة ...)، وكذلك الجاحظ في البيان و التبيين يقول: (اطلب الأدب فإنه دليل على المروءة و زيادة في العقل و صاحب في الغربية و صلة في المجلس).

و نلمح بجلاء هذا الاستخدام الواسع لكلمة (أدب) فيما نرصده من استخدام عند العرب القدامى، لاسيما ابن المقفع في رسالتي (الأدب الكبير) و(الأدب الصغير) التي اشتملتا على ضروب من الحكم و النصائح الخلقية و السياسية. وكذلك أبو تمام في (ديوان الحماسة) حيث أطلق على الباب الثالث الذي جمع فيه مختارات من طرائف الشعر باسم (باب الأدب)، وينطبق هذا المعنى تمام الانطباق على (كتاب الأدب) الذي عقده الإمام البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ في مؤلفه المشهور في الحديث والمعروف باسم (الجامع الصحيح)، و كتاب (أدب الكاتب) لابن قتيبة. كما نجد أنّ هذه الكلمة في العصر العبّاسي بدأت تأخذ معنى علمياً تدرج تحته جملة من العلوم و الفنون، و ذلك عند السكاكي: "وقد ضمنت كتابي هذا من أنواع الأدب دون نوع اللغة ما رأيته لا بد منه وهي أنواع متآخدة" و ذكر علم الصرف، و علم النحو، و علم المعاني، و علم البيان، و علم الحدّ و الاستدلال، و علم العروض، و علم القوافي. و تبعه بدر الدين ابن مالك في هذا الاتجاه و عرّف الأدب بقوله: "هو معرفة ما يحترز به عن جميع وجوه الخطأ في العربية"

العصور اللاحقة: تطرّق ابن خلدون (ت ٨٠٨هـ) إلى مفهوم كلمة أدب في مقدمته. فقد عقدَ في مقدمته فصلاً في علوم اللسان العربي تناول فيه النحو و اللغة و البيان (علوم اللغة) ثمّ الأدب، فعَدَّ الأدب علمًا من علوم اللسان و قال بأنّه لا موضوع له و إنما المقصود به عند أهل البيان ثمرته و هي الإجادة في فني المنظوم و المنثور على أساليب العرب و مناحيهم. ثمّ انتقل إلى تعريفٍ آخر، يقول: "ثمّ إنهم إذا أرادوا تعريف هذا الفن قالوا: الأدب هو حفظ أشعار العرب و أخبارها و الأخذ من كل علمٍ بطرف، يريدون علوم اللغة أو العلوم الشرعية.." و كأنّ ابن خلدون يعود بالمصطلح مرة أخرى إلى العصر الإسلامي و الأموي حين كانت الكلمة تعني التهذيب و تعلم أشعار العرب و أخبارهم.

و بهذا العرض لدلالة الكلمة خلال العصور المختلفة يتضح أنها اتسعت و ضاقت تبعًا لاختلاف العصور، فشملت كل أنواع المعرفة حينًا و وقف معناها عند الكلام الجيد من المنظوم و المنثور حينًا آخر.

و يمكن أن نُجمل خلاصة الفهم القديم لكلمة (أدب)، في النقاط التالية:

١. المعنى الحسي.
٢. التأديب و تهذيب الخلق.
٣. التعليم.
٤. المعارف و العلوم غير الدّينية، التي ترقى بالإنسان اجتماعيًا و ثقافيًا.
٥. كلّ ما ينتجه العقل و الشعور.

معنى كلمة (أدب) في العصر الحديث:

نجد أنّ معنى كلمة (أدب) في العصر الحديث أصبحت تقتصر عن (الإبداع) الذي يستخدم الكتابة وسيلة و الكلمة مادة له. الأدب هو ملكة أو براعة راسخة في النفس، كما أنّه سجّل لتراث الأمة من علومها و معارفها عبر عصورها، معروفة بأسلوب جميل مشرق. وقد استعملت لفظة «الأدب» على مجموعة من الآثار المكتوبة التي يتجلّى فيها العقل الإنساني بالإنشاء و الفنّ الكتابي. ويمكن القول بأنّ الأدب هو مجموع الكلام الجيد المروي نثرًا و شعرًا. و للوصول إلى تعريف للأدب، أو لمعرفة ماهية الأدب، سنقف على أقوال و آراء

بعض الدارسين المعاصرين لتتوصل بذلك إلى تكوين رؤية مُستخلصة من هذه التعريفات و الآراء.

و يرى كارل بروكلمان أنه من الممكن إطلاق لفظ: الأدب , بأوسع معانيه على كل ما صاغه الإنسان في قالب لغوي ليوصله إلى الذاكرة .

أما ميخائيل نعيمة يعرف الأدب بأنه تعبير عن الحياة النفسية والاجتماعية من جميع نواحيها. هذا التعريف للأدب كان نابعاً من احتكاكه بالثقافة الغربية؛ ذلك أنه حينما كان متأثراً بالأدب الروسي كان يريد من الأديب أن يلتزم بما يجري داخل مجتمعه من ثورات والتبشير بها؛ لكنه حينما انغمس في الحياة الأمريكية انسحب من عالم المجتمع وارتد إلى ذاته وإلى عوالمها، ثم اعتبر نفس الإنسان محور الأدب: أي الإنسان كوحدة في الوجود، لا كفرد في المجتمع. لهذا، «لا يخلد من الآثار إلا ما كان فيه بعض من الروح الخالدة».

كما يصف الدكتور محمد مندور تعريف العرب للأدب على أنه الشعر و النثر الفني و الأخذ من كل علمٍ بطرف، بأنه تعريف سطحي ضيق لا يحدد للأدب أصولاً و لا أهدافاً. و يقول بأن المفهوم الغربي للأدب أوسع و أعمق، فهم يقولون بأنّ الأدب يشمل كل الآثار اللغوية التي تُثير فينا بفضل خصائص صياغتها انفعالات عاطفية أو احساسيات جمالية. فهم يميزون الأدب بأثره النفسي.

ثمَّ يورد أحد تعريفات الغرب للأدب: " الأدب صياغة فنية لتجربة بشرية" و يقول الدكتور محمد مندور بأنّ هذا التعريف انتشر عند دُعاة التجديد في العالم العربي من أمثال عباس محمود العقاد و إبراهيم المازني اللذان نقدا شعر أحمد شوقي و حافظ إبراهيم في كتاب (الديوان). و كذلك تأثر ميخائيل نعيمة بهذا التعريف في كتاب (الغربال)... و لكنّ هؤلاء المتأثرين فسروا عبارة التجربة البشرية تفسيراً ضيقاً فقالوا أن التجربة البشرية هي تجربة شخصية يجب أن يعيشها الشاعر و إلا كان شعره كاذباً. و هذا الفهم بلا شك ضيق لأن معايير الصدق و الكذب لا يُمكن أن تُطبق على الأدب، لأنّ الأديب ذا خيال خصب خلّاق و ملاحظة دقيقة نافذة يستطيع أن يخلق بخياله تجارب بشرية قد تكون أعمق من تجارب الحياة، كما يستطيع عبر ملاحظته الدقيقة أن يصوغ تجارب للغير يستمدّها من محيطه الإنساني و مع ذلك لا تقل صدقاً عن واقع الحياة الإنسانية العام.

و يعرف د. شوقي ضيف الأدب بأنه الكلام الإنشائي البليغ، الذي يقصد به التأثير في عواطف القراء و السامعين، سواء أكان شعراً أم نثراً". وقد اتفق د. محمد عبد القادر مع د. شوقي ضيف في تعريف الأدب و ذلك في كتابه (دراسات في أدب) بأنه "الكلام الإنساني البليغ الذي يقصد به إلى التأثير في عواطف القراء أو السامعين أو في عقولهم بالإقناع سواء أكان منظوماً أم منشوراً... ويتمثل في كونه الذخر الإنشائي الذي جادت به قرائح الأفاضل من أعلام البيان وعبروا به عن خلجات النفس وما يجيش به الوجدان، وما تترنم به العاطفة، ويسبح فيه الخيال، وما توحى به مظاهر الكون وأحوال المجتمع مما في تصويره غذاء للغة وإمتاع للنفس". أمّا د. محمد حسن عبد الله فيصفه بأنه: "التعبير عن تجربة إنسانية بلغة تصويرية هدفها التأثير، في شكل فني جمالي قادر على توصيل تلك التجربة".

و يقول الدكتور محمد غنيمي هلال: "أمّا الأدب، فكثيراً ما اختلف الباحثون في تعريفه و طال جدالهم فيه... و لكن مهما يكن بينهم من اختلاف فهم لا يُمارون في توافر عنصرين في كل ما يصح أن يُطلق عليه أدباً، هما: الفكرة و قلبها الفني، أو المادة و الصيغة التي تُصاغ فيها. و هذان العنصران يتمثلان في جميع صور الإنتاج الأدبي: سواءً أكان تصويراً لآحساسات الشاعر و خلجات نفسه تجاه عظمة الكون و ما فيه من جمال و أسرار، أم كان تعبيراً عن أفكار الكاتب في الإنسان و المجتمع. و سواءً كان ذلك الإنتاج الأدبي رسالة أو مقالة، أم مسرحية أو قصة...". فالدكتور محمد غنيمي هلال يرى أن الأدب لا بد أن يتوافر على عنصري الفكرة. و القوالب الفني أو الصيغ الذي تُصاغ فيها هذه الفكرة. كأن تُصاغ في قصيدة أو في خاطرة أو في قصة. أمّا مادة الأدب التي يُصاغ بها فهي اللغة. فالأدب إذن تعبير مادته اللغة، يشتمل على فكرة يُعبر عنها في قالب فني مُعين. أمّا د. مريم بغدادى في (المدخل لدراسة الأدب) فإنها عرّفت الأدب بأنه: "مجموعة من التجارب الإنسانية التي تفرضها الحياة البشرية بأطرافها و اتجاهاتها المختلفة على مدى الحياة و امتداد الزمن و مراحل التطور الإنساني بكل تناقضاته و من خلال تطوره أو انحداره".

المحاضرة الثانية:

تقسيمات الأدب

خضع الأدب لتقسيمات عديدة وفقاً لمناهج دارسيه، فمنهم من قسّمه باعتبار العموم و الخصوص إلى الأدب العام و الأدب الخاص، و الأدب العام يشمل كل ما كتبه العلماء و الأدباء دون مراعاة الخط العازل مابين اللغة الأدبية الفنية و اللغة العلمية الرصينة. ثم صار لفظ الأدب العام يُطلق على دراسة الحركات الأدبية التجديدية التي تتخطى المعايير القومية فصار يوضع في مقابل مصطلح الأدب المقارن و الذي يدرس علاقات التأثر و التأثير ما بين الآداب القومية في لغاتها الأصلية. أمّا الأدب الخاص فهو الأدب المتمسم بالجمال الفني والعناصر البلاغية.

إلا أن من أشهر تقسيمات الأدب، و أكثرها استعمالاً من قبل الدارسين، طريقتين:

الطريقة الأولى: التقسيم الزمني:

وقد ظهرت فكرة تقسيم الأدب زمنياً في العصر الحديث. مستمدة في أغلبها من الدراسات الغربية، فتمّ تقسيم الأدب تقسيماً تاريخياً وفقاً للعصور السياسية التي عاصرها الأدب (الأدب الجاهلي، الإسلامي، الأموي...). فقد قُسم الأدب العربي تقسيماً تاريخياً مرتبطاً بالدولة او الحقبة الزمنية التي يقصدها، و من أمثلة ذلك تقسيم د. شوقي ضيف للأدب العربي في كتابه (العصر الجاهلي)، و د. احمد حسن الزيات في كتابه (تاريخ الأدب العربي)، حيث قسّموا الأدب إلى ستة عصور، وهي:

العصر الجاهلي: أو ما قبل الإسلام ، وهو تلك الفترة التي حددها الحاجة بمائة و خمسين عاماً قبل الإسلام.

العصر الإسلامي: منذ بعثة المصطفى ﷺ إلى مقتل علي بن أبي طالب-آخر الخلفاء الراشدين سنة ٤٠ هـ.

العصر الأموي: منذ قيام الدولة الأموية ٤١ هـ إلى سقوطها عام ١٣٢ هـ.

العصر العباسي: ويقسم المؤرخون العصر العباسي إلى قسمين، أولهما العصر العباسي الأول الذي يمتد بعد قيام الدولة العباسية في عام ١٣٢هـ بمائة عام. والقسم الآخر يسميه المؤرخون: العصر العباسي الثاني، و يبدأ من عام ٣٣٤هـ إلى نهاية الدولة عام ٦٥٦هـ. العصر العثماني والمملوكي: يحدد باستيلاء التتار على بغداد إلى دخول نابليون وحملته الفرنسية عام ١٢١٣هـ.

العصر الحديث: و يحدّد بدخول الحملة الفرنسية إلى مصر في عام ١٢١٣هـ إلى الوقت الحاضر.

أما د. عمر فروخ فقد قسّم الأدب باعتبار القدم و الحداثة، فالأدب عنده ثلاثة أقسام: (الأدب القديم) و (الأدب الحديث). و يزيد عَصراً بين هذين العصرين و يسميه (الأدب المحدث). فالأدب القديم عنده يضم العصر الجاهلي إلى سقوط الدولة الأموية، أما العصر المحدث فيعني الأدب من زمن سقوط الدولة الأموية إلى نهاية العصر العثماني في مطلع القرن التاسع عشر الميلادي. و الأدب الحديث يبدأ من مطلع القرن التاسع عشر إلى اليوم. و لا يخرج تقسيم د. حنا الفاخوري عن هذا النهج، إلا أنه وضع الأدب في قسمين هما: (الأدب القديم) و (الأدب الحديث). كل عصور ما قبل النهضة تندرج عنده تحت طائفة الأدب القديم في مجلّد مستقل. و ما بعد النهضة يطلع عليه اسم (الأدب الحديث) في مجلّد آخر.

الطريقة الثانية: التقسيم الفني:

ويعني تقسيم الأدب باعتبار فنونه إلى قسمين رئيسين هما الشعر و النثر. و هذا التقسيم هو التقسيم الأشهر و الأكثر رسوخًا في الذهنية العربية. و النثر في تقاليد الأدب العربي لا يدخل في مجال الأدب إلا إذا كان نثرًا فنيًا، أي كالخطب و المقامات و الرسائل و القصص و الروايات.. أمّا الشعر فقد جعله اليونان قبل الميلاد في ثلاثة أقسام هي (الشعر الملحمي، الشعر التمثيلي، الشعر الغنائي). و سنتعرف على هذه التقسيمات و تعريفاتها فيما بعد.

القسم الأول: الشعر:

الأصل اللغوي لكلمة شعر هو ما أشعرك أي ما أثار مشاعرك، و يعرفه قدامة بن جعفر في كتاب (نقد الشعر) بقوله: " الشعر قول موزون مُقفى يدل على معنى"، و هذا التعريف قاصر لأن الناقد ركّز فيه على الجانب الموسيقي و أهمل الجانب الأخرى. أمّا النقاد في العصر الحديث فقد انقسموا في مفهومهم للشعر إلى قسمين ، قسم يتمسك بـعري الثقافة العربية القديمة، و قسم متأثر مفتون بالثقافة الغربية. و وُجدَ بينهما فريق ثالث يحاول المواءمة بين الثقافة العربية و الثقافة الأجنبية.

١/ تعريف طه حسين: الشعر هو الكلام المقيّد بالوزن و القافية و الذي يُقصد به إلى الجمال الفني الذي يلائم ذوق العصر و يتصل بنفوس الناس.

و يعرفه ثانية باختصار قائلاً: "لغة مُنغمّة انفعالية مُثيرة للعواطف تنبع من وجدان الشاعر و أحاسيسه"

٢/ عباس محمود العقاد: يتفق العقاد مع طه حسين في الاهتمام بالوزن و القافية و الاهتمام بالجانب النفسي، و الشعر عنده تجربة ذاتية تنبع من أعماق الشاعر يعبر فيها عمّا يحس و يشعر و ليست شيئًا مفروضًا عليه من خارج ذاته.

٣/ ميخائيل نعيمة: يعرف الشعر بأنه "هو لغة النفس التي تُساق في عبارة جميلة التركيب موسيقية الرنة.".

و يختلف ميخائيل نعيمة مع طه حسين و العقاد في أهمية الوزن حيث يرى العقاد أن الموسيقى من ضرورات الشعر و لوازمه في حين يقول ميخائيل نعيمة : " فلا الأوزان و لا القوافي من ضرورات الشعر، كما أنّ المعابد و الطقوس ليست من ضرورات الصلاة و العبادة، فربّ عبارة نثرية جميلة التنسيق موسيقية الرنة كانَ فيها منَ الشعر أكثر مما في قصيدة من مائة بيت " و ميخائيل نعيمة لا ينكر أهمية الوزن لكنه يرى أنّه يلي عنصر الوجدان و العاطفة، فالشعر عنده شكل و مضمون، و في رأيه سبقت الأفكار و العواطف في الوجود. فالأوزان نشأت نشوءًا طبيعيًا و كان سبب ظهورها ميل الشاعر إلى تلحين عواطفه و أفكاره، لذلك لحقّ الوزن بالشعر و نما معه نموًا طبيعيًا.

و نلاحظ على التعريفات السابقة – و أصحابها منَ أقطاب مدرسة التجديد في الأدب العربي – أنها برغم اختلافها تتفق على أنّ الشعر كلام منغم مثير للعواطف.

٤/ عز الدين إسماعيل: الشعر لغة تركيبية بينما النثر لغة تحليلية. الألفاظ ملك لجميع الناس لكنّ اللغة في الشعر تبدو تركيبية و ذلك لأنّ التركيب عملية يقتضيها العمل الشعري، في حين أن الناثر في حاجة للتحليل و هكذا نرجع لفكرة أولية تقول أن الشعر إنفعال، و النثر تفكير. و طبيعة الانفعال أنه ينتقل جملة و لا يثبت للتحليل إلا في يد الدارس، فالشعر وحدة متنقلة لا تتكون في النفس على نحو ما يتكون التفكير المنطقي المنظم. و لا هي تتبع الطريق الذي يسلكه ذلك التفكير في صورة لفظية تحليلية. و تجربة الشاعر وحدة تدفعه إلى إنتاج تركيب مُعين و هو يستخدم في ذلك اللغة. و إذا نحن وضعنا هذا في الاعتبار يتضح لنا الخطأ في محاولة فهم طبيعة الشعر من خلال نثره، كما يفعل البعض حين ينقلون القصيدة من صورتها الشعرية إلى صورة النثرية. و يعدُّ هذا قتلاً للشعر.

تقسيمات الشعر:

للشعر تقسيمات عديدة من بينها (الشعر الملحمي، الشعر التمثيلي، الشعر الغنائي، الشعر التعليمي).

الشعر الملحمي: الملحمة لغةً هي الموقعة العظيمة و منه تلاحم القوم أي تقاتلوا. و الشعر الملحمي هو قصة شعرية قومية بطولية خارقة للمألوف يختلط فيها الخيال بالحقيقة و التاريخ بالأساطير.

و تطول قصائد هذا اللون من الشعر حتى تصل آلاف الأبيات، ولكنها على طولها لا بد لها من وحدة هي حدثها الرئيسي وشخصيتها الرئيسية التي تمضي بالأحداث إلى نهايتها. ثم تتفرع أحداث ثانوية وشخصيات مساعدة. و أقدم ما عرفه تاريخ الأدب العالمي من هذا الجنس الشعري ملحمتا الإلياذة والأوديسة لشاعر اليونان هوميروس، وموضوع الإلياذة تلك الحرب القاسية بين اليونان ومملكة طروادة، وأما الأوديسة فتصور عودة اليونانيين إلى بلادهم عقب المعركة. والملحمتان تحكيان ألواناً من المشاعر المتباينة، من الغدر والوفاء، والحب والبغض، كما تصور أحداثاً دامية عنيفة، وتحكي أسطورة فتح طروادة بهيكل الجواد الخشبي، كما تحكي عن شخصيات الأمراء والقواد مثل أخيل و أجاممنون و أجاكس و هيكتور وغيرهم. وبلغت الإلياذة ستة عشر ألف بيت من الشعر على وزن واحد.

وقد عرف الرومان الملاحم على يد شاعرهم فيرجيل حين كتب الإلياذة مستلهماً ملحمتي هوميروس. وموضوعها مغامرات البطل إنياس. كما عرف الفرس ملحمة الشاهنامه التي تحكي أحداث مملكة الفرس. وكذلك كتب الهنود ملحمة المهابهاراتا في مائة ألف بيت حول صراع أبناء أسرة واحدة على الملك مما أدى إلى فنائهم جميعاً. و لم يعرف الأدب العربي هذا اللون من القصص أو الملاحم في شعره القديم ولكن في العصر الحديث حاول الشعراء العرب استلهام التاريخ قديمه وحديثه لتصوير البطولات العربية الإسلامي. فكتب الشاعر المصري أحمد محرم (الإلياذة الإسلامية) في أربعة أجزاء يحكي في الجزء الأول حياة الرسول بمكة ثم هجرته إلى المدينة، كما يتناول غزواته وأحداثها و بطولاتها ويستمر الحديث

عن الغزوات والبطولات في الجزأين الثاني والثالث. أما الجزء الرابع فيخصصه للحديث عن الوفود التي قدمت على الرسول والسرايا التي اتجهت إلى مختلف أنحاء الجزيرة العربية. كما خليل مطران قصيدة قصصية عنوانها فتاة الجبل الأسود تصور ثورة شعب الجبل الأسود ضد الأتراك. ومحورها بطولة فتاة تنكرت في زيّ فتى واقتحمت موقعًا للأتراك، وقتلت بعض رجالهم، وعندما أُسرت اكتشف الأتراك حقيقتها فأعجبوا ببطولتها وأطلقوا سراحها. و قد قل شأن هذا اللون في العصر الحديث إذ لم يعد الإنسان تطربه خوارق الأساطير الممعة بالخيال بقدر اهتمامه بأحداث الحاضر المعبر عن واقعه وهمومه وآماله وآلامه.

الشعر التمثيلي أو المسرحي: و تعود نشأة هذا النوع إلى اليونان الذين عرفوا أول مسرحية شعرية. فقد ظهر المسرح عندهم في كنف الدين، و كانَ عبارة عن أغنيات مرحة في البداية ترددها جوقة غنائية و كان لا بد أن تحتوي هذه الأغنيات على حدث، و قد أخرج اليونان مسرحيات شعرية مشهورة مثل (أوديب ملكاً). و مسرحية (الضفادع).

و عرف الشعر التمثيلي نوعين هما:

المأساة التي تصور كارثة وقعت لشخص من ذوي المكانة العالية وتكون نهايتها محزنة إما بموت البطل وإما باختفائه. و الملهاة التي تتناول أشخاصاً ليسوا من ذوي المكانة العالية وتحكي وتصور حوادث من حياة الناس اليومية مركزة على العيوب أو النقائص التي تثير الضحك.

و قد اقترن الشعر التمثيلي منذ نشأته بالغناء والموسيقى، ثم بدأ الأداء التمثيلي يبعد شيئاً فشيئاً عن دنيا الغناء حتى انتهى الأمر إلى لونين هما المسرحية التمثيلية والمسرحية الغنائية. و قد اتجهت المسرحية التمثيلية للنثر الخالص وتركزت الشعر؛ لأن قيود الشعر جعلت إدارة الحوار بين الشخصيات يبدو متكلفاً كما أنها تضعف الحركة اللازمة في المسرحية. و من أشهر من كتبوا هذا اللون من الشعر قديماً سوفوكليس وأرسطو فانيس في الأدب اليوناني. وراسين و موليير في الأدب الفرنسي. و شكسبير و برنارد شو في الأدب الإنجليزي. و لم يكن الشعر التمثيلي موجوداً في الأدب العربي، و في العصر الحديث حاول أحمد شوقي إيجاده فكتب ست مسرحيات شعرية، ثلاث منها تحكي عن العواطف الوطنية الملتهبة وهي مصرع كليوباترا و قمبيز و علي بك الكبير واثنتان تصوران طبيعة الحب والعاطفة في التراث العربي هما: مجنون ليلى و عنتره والسادسة ملهاة مصرية بعنوان السّت هدى. ثم جاء عزيز أباطة وأكمل ما بدأه شوقي من الشعر التمثيلي فكتب شجرة الدر؛ قيس وبنى؛ العباسة والناصر؛ غروب الأندلس؛ قافلة النور، ثم أخذ الشعراء المعاصرون من المسرح الشعري شكلاً رمزياً حين اتجهوا له؛ فاستفادوا من طاقة الشعر وشفافيته في تصوير المشاعر والأفكار برقة وحساسية. فكتب صلاح عبد الصبور وعمر أبو ريشة، وعبد الرحمن الشراوي وغيرهم،

الشعر الغنائي: و هو الشعر الوجداني الذاتي الذي يعبر عن العواطف الخالصة من فرح و حزن وحب و بغض وما إلى ذلك . و يعد هذا اللون أقدم أشكال الشعر في الأدب العربي، فقد كان الشعراء القدامى يعبرون تعبيراً خالصاً عن هذه المشاعر الإنسانية وقد يكون هذا التعبير مصوراً لذات الشاعر ومشاعره، كما ارتبط منذ نشأته بالموسيقى والغناء، ومن هنا سمي بالشعر الغنائي. هذا اللون من الشعر استأثر بطاقة الشعر العربي، وفجر يناييعها الفنية حين تحوّل إلى موضوعات وأغراض، كالغزل والوصف والحماسة والمديح والرثاء والهجاء والفخر والزهد والحكمة. وقد استمرت موضوعات الشعر الغنائي في التعبير عن الذات الإنسانية وعن تقلباتها وعن أفراحها وأحزانها حتى وقتنا الحاضر. و قد أوشك فن الشعر أن ينحصر في هذا النوع في العصر الحالي، فقد اختفى شعر الملاحم، كما تحل النثر محل الشعر في الأدب التمثيلي.

و بهذا نستنتج أن الشعر العربي بدأ غنائياً ثم مرّ في العصر الحديث بمحاولات صياغة جديدة مثل الشعر الملحمي و الشعر المسرحي. أمّا الشعر الغربي فقد بدأ ملحمياً و مسرحياً و غنائياً. ثمّ انتهى إلى الشعر الغنائي.

القسم الثاني: النثر

لقد أمعنَ النقاد القدامى في بحث الشعر من جميع نواحيه تفصيلا وتدقيقا على حد الإفراط أحيانا، و أهملوا فن النثر. ولعل من مظاهر هذا الإهمال أننا لا نجد تعريفا صحيحا للنثر قد استوفى ما يشترط في كل تعريف صالح من دقة وإحاطة واستقصاء ، في حين أن الشعر قد حظي بتعريفات لا بأس بها تتسم بالضبط والإحكام، أما النثر فما ورد في حقه من تعريفات لا تتعدى التقسيم والتصنيف، فهو باعتبار الشكل ينقسم إلى خطب ورسائل، وباعتبار اللفظ يتفرع إلى نثر مرسل ومزدوج وسجع.

و لم يصلنا عن العصر الجاهلي من النثر إلا أقل القليل، ولعل السبب في ذلك يتمثل في الآتي:

- سهولة حفظ الشعر لما فيه من إيقاع موسيقي، و صعوبة حفظ النثر.
 - الاهتمام بنبوغ شاعر في القبيلة يدافع عنها ويفخر بها.
 - قلة أو انعدام التدوين، والاعتماد على الحفظ والرواية.
- و بالرغم من عدم وجود أي سجل أو كتاب مدون يحتوي على نصوص النثر الجاهلي يعود تاريخه إلى تلك الفترة من الزمن الغابر، إذ كان الناس يحفظونها ويتناقلونها عن طريق الرواية الشفاهية، مثل الشعر، وهذا ربما سبب قلتها، وكذا موقف الإسلام من بعضها، وبالرغم من ذلك فإن الدارسين المحققين لهذا التراث الأدبي العربي ذكروا من أنواع النثر الأدبي في تلك الفترة خاصة بعض الأنواع منها:

الخطابة، القصص، الأمثال، الحكم، الوصايا، النثر المسجوع.

الخطابة:

هي فن مخاطبة الجماهير، بغية الإقناع والإمتاع، بكلام بليغ وجيز. فهي قطعة من النثر الرفيع، قد تطول أو تقصر حسب الحاجة لها. وهي من أقدم فنون النثر، لأنها تعتمد علي المشافهة. و لقد شاركت الخطابة الشعر في الإقناع والتأثير، إلا أنها كانت دونه في الانتشار والذيع، وذلك لقابلية الشعر أن يُحفظ وأن يُتناقل وأن يُتداول في غير لحظة إذاعته، بخلاف الخطابة إذ هي صعبة الحفظ لنثريتها، وحاجتها للمشاهدة لتكون خطبة. ولقد كانت مهمة الخطابة في الجاهلية النصح والإرشاد، والمنافرة والمفاخرة والدعوة للسلم وحقن الدماء. ومسرحتها الأسواق والمحافل والوفود على الملوك والأمراء. ومن أشهر خطباء الجاهلية قس بن ساعدة. ولقد اعتمد الإسلام الخطابة لحاجته إلى الخطابة أداة في التبليغ وتفنيد حجج الخصوم، وإعلان قيم الإسلام ومثله وآدابه وأحكامه، فأصبحت وسيلة الدعاة المفضلة، بل صارت شعيرة من شعائر بعض العبادات. فهي جزء من صلاة الجمعة الأسبوعية وصلاة العيدين وصلاة الاستسقاء. وهي القناة لإبلاغ المسلمين عندما يحزبهم أمر أو يلم بهم حطُّب أو تظهر الحاجة لاستنهاض الناس واستنفارهم. وبتقدم التاريخ العربي الإسلامي وتعدد الفرق الإسلامية، كانت الخطابة أداة الدعاية ومصارعة الخصوم، فاشتهر عدد من الخطباء حُفظت خطبهم وظلَّت تُتداول وتحفظ في مدونات الأدب والتاريخ .

الرسائل:

يعتبر فن الرسائل عند العرب من الفنون الأدبية القديمة ازدهر في القرنين الثالث والرابع الهجريين، وفيهما انتشر صيته، وهو " فن نثري جميل يظهر مقدرة الكاتب وموهبته الكتابية وروعة أساليبه البيانية المنمقة القوية . ولما كانت الكتابة والقراءة أقل شيوعاً عند العرب في الجاهلية لم يكن لفن الرسائل دور في حياتهم الأدبية والاجتماعية في ذلك العصر، وهذا خلافاً للفنون الأخرى كالشعر والخطابة والأمثال التي كانت منتشرة عندهم، ومزدهرة لكن مع مجيء الإسلام تغيرت الحال، فالرسول صلى الله عليه وسلم وهو النبي الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب كان يشجع المسلمين على تعلم القراءة والكتابة وقد اتخذ كتاباً يكتبون له القرآن الكريم، كما يكتبون له الرسائل التي كان يبعث بها إلى زعماء المناطق، ورؤساء القبائل، وملوك الدول كما فعل مع كسرى عظيم الفرس، وقصير عظيم الروم. ولما كانت الخطابة والشعر قادرين على أداء الدور العلمي الذي تؤديه الرسالة حين تنقل ما يتصل بسياسة الدولة من مراسيم سياسية حول تنظيم الحكم أو توجيهات أو تعليمات إدارية حول الحروب والغزوات، ومن هذا المنطلق التاريخي نafs الكاتب المترسل الشاعر والخطيب . كما شجع الخلفاء الراشدون أبو بكر الصديق، وعمر، وعثمان، وعلي . رضي الله عنهم . على تعلم القراءة والكتابة، واتخذوا لهم كتاباً فدون القرآن الكريم على مرحلتين، الأولى في عهد أبي بكر الصديق، رضي الله عنه، والثانية في عهد عثمان بن عفان، رضي الله عنه، فكان القرآن الكريم أول نص عربي اتخذ شكل كتاب. كما دون الحديث النبوي فيما بعد مع بداية العصر العباسي.

وعندما قامت الدولة الإسلامية أنشئ ديوان الرسائل، وهذا الديوان يعنى بشؤون المكاتبات التي تصدر عن الخليفة إلى ولاته، وأمراءه، وقادة جنده، وملوك الدول الأخرى، وقد كان الخليفة في أول الأمر هو الذي يملي الرسائل على كاتبه، ثم بمرور الزمن أخذ الكتاب يستقلون بكتابتها ثم تعرض على الخلفاء، وكان أسلوبها آنذاك تغلب عليه البساطة والوضوح، ويخلو من التأنق والتصنع. لكنه شهد نقلة كبيرة في عهد هشام بن عبد الملك عندما تولى

مولاه سالم رئاسة ديوان الرسائل في عهده ثم في عهد مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية الذي تولى أمر ديوانه عبد الحميد بن يحيى الكاتب، وقد عرف بالبراعة في فن الترسل حتى غدت مكاتباته مضرب المثل في الجودة والاتقان حتى قيل "بدئت الكتابة بعبد الحميد.

وبعد قيام دولة بني العباس أخذ أمراؤها يولون كتابة الرسائل عناية أكثر من سابقهم، ولهذا السبب كثر الكتاب، ونبغ كثير منهم في فن الترسل، وغدا مؤهلا للوصول إلى منصب الوزارة، ونستحضر في هذا المجال أسماء: يحيى بن خالد البرمكي، وابنه جعفر، ومحمد بن عبد الملك الزيات، وأحمد بن يوسف الكاتب، وابن العميد، والصاحب بن عباد، وعبد العزيز بن يوسف وضياء الدين بن الأثير، وغيرهم.

وقد بلغ فن كتابة الرسائل أوجه في القرنين الثالث والرابع الهجريين بحيث يمكن لنا أن نصف هذين القرنين بأنهما يمثلان الفترة الذهبية لهذا الفن.

* فنون النشر في الأدب العربي الحديث:

- المقالة.

- المسرحية.

- الرواية ، القصة القصيرة، القصة القصيرة جدًا.

النشر في العصر الحديث:

بلغ النشر في أواخر العصر العثماني الغاية في الركافة و الضعف، فكانت عباراته مُثقله بالزخارف البديعية على حساب المعنى، كما كانت تغلب عليه العامية و الكلمات التركية. عصر النهضة: يُعتبر مطلع القرن التاسع عشر هو عصر النهضة كما هو مُتعارف عليه، فقد انفتحت فيه الأمة العربية على تراثها القديم و استلهمته كما انفتحت فيه على الحضارة الغربية. و قد كان لهذه النهضة عدة آثار لعلَّ أبرزها هو:

١/ انتشار المطابع في المراكز العلمية الكُبرى و قد نتج عن هذا العامل طباعة كُتب التراث العربي القديم، و ظهور الصحف و المجلات. فقد ساهمت مطبعة بولاق التي أنشأها محمد علي باشا في مصر و مطبعة الجوائب التي أنشأها أحمد فارس الشدياق في نشر أمهات كتب التراث.

٢/ ظهور الصحافة العربية، فقد أنشأ محمد علي باشا صحيفة الوقائع المصرية و توالى بعدها الصحف مثل صحيفة (مرآة الأحوال) في الأستانة، و صحيفة (حديقة الأخبار) في بيروت... و غيرها. و قد أعانت الصحافة على ظهور نثر صحفي متحرر من القيود و اللهجة و الركافة و يهتم بالمضمون. فنشأ المقال الذي يُعد ابن الصحافة. كما ساهمت الصحافة في نشر النتاج الأدبي الجديد كالقصص...

٣/ انتشار المكتبات العامة و الخاصة في مصر و الشام و أقطار الوطن العربي. و من أشهرها دار الكتب المصرية بالقاهرة، و المكتبة الأزهرية بالقاهرة، و المكتبة الظاهرية بدمشق...

٤/ ظهور الجمعيات و الأندية الأدبية و العلمية و الفنية و الصالونات الأدبية.

أبرز الفنون الثرية في الأدب العربي الحديث:

المقالة:

هي قطعة نثرية قصيرة أو متوسطة، موحدة الفكرة، تُعالج بعض القضايا الخاصة أو العامة، مُعالجة سريعة في أسلوب يمتاز بالسهولة، و يغلب عليه رأي الكاتب.

أسباب ظهور فن المقالة في العصر الحديث:

١/ ظهور الصحف و المجالات.

٢/ ظهور الأحزاب السياسية و التيارات الفكرية المتفرقة فكانت المقالة هي القلب الأنسب للتعبير عن آراء هذه المذاهب و لاستيعاب مناظراتهم السياسية و الفكرية...

المقال الصحفي و المقال الأدبي:

المقال الصحفي يتناول المشكلات القائمة والقضايا العارضة من الناحية السياسية، أما المقال الأدبي فيعرض لمشكلات الأدب والفن والتاريخ والاجتماع. و للمقال الصحفي عدة أنواع من بينها (المقال الافتتاحي، المقال السياسي، المقال الاقتصادي، المقال الاجتماعي،...) و مِنْ أبرز الكتاب الذين برعوا في كتابة المقال الصحفي: د/محمود عزمي، و الصحفي عبدالقادر حمزة.. و غيرهما. و من الذين اشتهروا بالمقالة الأدبية: ميخائيل نعيمة ، و جبران خليل جبران، و مي زيادة، و عبدالعزيز البشري. و من الذين برعوا في النوعين معًا: طه حسين، و حسين هيكل و عباس محمود العقاد...

خصائص فن المقالة:

١- تعبيرها عن وجهة نظر الكاتب.

٢- الإيجاز و البعد عن التفصيلات المملة.

٣- الحرية و الإنطلاق.

٤- الوحدة و التماسك و التدرج في الانتقال مِنْ فكرة إلى فكرة.

المسرحية:

تعريفها: هي إنشاء أدبي في شكل درامي مقصود به أن يعرض على خشبة المسرح بواسطة ممثلين يؤدون أدوار الشخصيات ويدور بينهم حوار، ويقومون بأفعال ابتكرها مؤلف. و من أوائل رواد المسرح العربي مارون النقاش. و أول مسرحية كتبها كانت بعنوان (البخيل) و قد كان متأثراً بالكاتب الفرنسي (موليير).

عناصر المسرحية :

(١) الحادثة: أو الحوادث، و هي مجموعة المتغيرات التي يتولد عنها الصراع في المسرحية. ويتحرك الحدث تدريجياً بفعل الصراع بين الشخصوص. ويكون الحدث الرئيسي بمثابة المحور الذي تتخلله أحداث فرعية تشترك فيها الشخصوص لتعرض الفكرة.

(٢) الشخصيات: و هي التي تُحدث الحدث في المسرحية. و الشخصيات في المسرح على نوعين هما:

- الشخصية المسطحة (البسيطة أو الثابتة) . - الشخصية النامية (المتطورة).

و سيرد تفصيل هذين النوعين عند الحديث عن النثر القصصي.

(٣) الحوار: و تقوم عليه المسرحية . فليس في المسرحية مؤلف أو راوٍ يقص علينا الأحداث و يعرفنا على الشخصيات. إنما تكشف الشخصيات عن نفسها بنفسها من خلال الحوار ، و كذلك الأحداث تنمو و تتكشف من خلال الحوار. و يُشترط في الحوار (الوضوح، و التركيز، و عمق المعنى، و الجانب الإيحائي). و ألد أعداء الحوار الإطالة، و الحشو.

(٤) البناء الفني ، أو الحبكة. و هو أن تترابط الأحداث ترابطاً منطقيًا يجعل من مجموعها وحدة ذات دلالة محدودة. و هذا ما يُسمى بالوحدة العضوية، والوحدة من

ضرورات العمل الناجح. فإذا انقطع التواصل و منطقية تسلسل الأحداث اختلَّ البناء المسرحي.

النثر القصصي:

و سندرس تحت هذا النوع ثلاثة أشكال هي:

١/ القصة القصيرة. أو الأقصوصة.

٢/ الرواية.

٣/ القصة القصيرة جدًا. (ق.ق.ج)

و القصة عمومًا عبارة عن فن نثري، يقوم على سرد حدث أو مجموعة من الأحداث بشكل فني لا يخلو من الدراما و إحداه الأثر لدى المتلقي. و لم يعرف الأدب العربي القديم القصة بشكلها الحالي، و لكن لا يُمكن أن يُقال بأنه لم يعرف فن القصة إلا لا يُعقل أبدًا أن تخلو ثقافة أمة من الأمم من فن القصص و الحكايات.

عناصر القصة:

١/ الحادثة: و هي مجموعة الوقائع الجزئية التي ترتبط ببعضها على نحوٍ خاص يقودها نحو النهاية. و القصة القصيرة غالبًا لا تشتمل إلا على حادثة واحدة أو حوادث قليلة مترابطة و مكثفة على عكس الرواية التي تمتد حوادثها بامتداد الفترة الزمنية التي تغطيها. أما القصة القصيرة جدًا فالحدث فيها هو ومضة صغيرة تعتمد على المفارقة.

٢/ السرد: و هو نقل الحادثة من صورة واقعية إلى صورة لغوية. و للسرد ثلاثة طرق شائعة

هي:

(١) الطريقة المباشرة، و هي مألوفة أكثر من غيرها و فيها يكون الكاتب مؤرخًا يسرد

الأحداث من الخارج. بصوت الراوي أو ما يسمونه (الراوي العليم).

٢) طريقة السرد الذاتي، و في هذه الطريقة يكتب القاص على لسان المتكلم. و هو بذلك يجعل من نفسه واحد من شخوص القصة.

٣) طريقة الوثائق، و ذلك بأن تتحقق الأحداث من خلال وثائق مُعينة، كاليوميات أو الرسائل أو محاضر التحقيق و نحوها. مثال هذه الطريقة رواية (بنات الرياض) للكاتبة رجاء الصانع. و رواية (الغيمة الرصاصية) لعلي الدميني.

٣/ الشخصيات: لا بد في القصة من وجود شخصيات تقوم بالحدث، و الشخصيات في القصة القصيرة أو الأقصوصة غالبًا ما تكون شخصية واحدة فقط أو أكثر بقليل، بينما تتعدد الشخصيات في الرواية. و للشخصيات نوعين هُما:

١) الشخصية المسطحة، أو النمطية الجاهزة: و هي الشخصية التي تظهر مكتملة في القصة فلا يحدث عليها تغييرات كثيرة. إنما يكون التغير في علاقتها بالشخصيات الأخرى فحسب.

٢) الشخصية النامية، أو المتطورة: و هي الشخصية التي يتم تكوينها بتمام القصة، فتتطور من موقف لآخر. و كل موقف جديد يكشف لنا جانبًا معينًا من جوانب هذه الشخصية.

٤/ الزمان و المكان: كل حدث لا بد له من مكان و زمان يحتويه، و المكان في القصة ليس مجرد حيزًا جغرافيًا فقط بل هو حيز إنساني تتفاعل فيه الشخصيات والأحداث و يتفاعل معها. و المكان في القصة القصيرة قد لا يظهر واضح المعالم على عكس الرواية التي تتعدد فيها الأمكنة و ينقل لنا السرد أوصاف هذه الأماكن و خصائصها.

٥/ البناء أو الحكمة: و هو النسيج الذي يربط بين كل هذه العناصر. و يرى البعض أن البناء القصصي يتضمن تمهيد أو مقدمة، و عُقدة، ثم حل أو ما يُسمى بلحظة التنوير. و لكن لا يُمكن أن نشترط طريقة معينة للبناء القصصي فالأعمال الإبداعية لا تخضع لشروط مُسبقة. و عليه فإن المعول هُنا هو ترابط الأحداث و منطقية تسلسلها و قدرتها على إحداث الأثر في المتلقي.

القصة القصيرة (الأقصوصة): عبارة عن سرد حكايات نثري أقصر من الرواية، و تهدف إلى تقديم حدث وحيد غالبًا ضمن مدة زمنية قصيرة و مكان محدود غالبًا .

الرواية: نوع من أنواع السرد القصصي، تحتوي على العديد من الشخصيات لكل منها اختلاجاتها وتداخلاتها وانفعالاتها الخاصة، وتختلف الرواية عن القصة في امتداد فترتها الزمنية التي تحكيها و في تداخل و تعقد أحداثها و كثرة شخصياتها. و للرواية أنواع عديدة منها الرواية التاريخية التي تستمد موضوعاتها من التاريخ . كروايات نجيب محفوظ في بداياته و التي استمدتها من التاريخ الفرعوني (عبث الأقدار) (رادوبيس) (كفاح طيبة). و رواية الأجيال التي تحكي سيرة أجيال متعاقبة مثل ثلاثية نجيب محفوظ (بين القصرين) و (قصر الشوق) و (السكرية). و تصنف ثلاثيته أيضاً ضمن الأدب الواقعي. و قد قال الناقد المصري د/ جابر عصفور في كتابه (زمن الرواية) بأن الرواية هي ديوان العرب في العصر الحديث. فقد صارت هي سجل أحداثهم و ثوراتهم و حروبهم و أحوال مجتمعاتهم. القصة القصيرة جداً (ق.ق.ج): مصطلح ال (ق. ق. جداً) توصيف اختزالي لنص حكائي محدد يعتمد حدث متنامٍ كثيف وعمق في الفكرة ونهاية مفاجئة وامضة. و قد جعل له بعض النقاد أصلاً في الأدب العربي و هو الطرف أو الشذرات.

الطريقة الثالثة: التقسيم الموضوعي التفصيلي:

ونعني به تقسيم الأدب بحسب أدواره ومهامه في حياة الناس، أو الفئة التي يخصّها ويعنيها. وذلك من مثل: أدب الأطفال أو أدب الدعوة الإسلامية. فهذان النوعان لا يرتبطان بزمنٍ معيّنٍ ولا بجنسٍ أدبيٍّ مختص، بل هو نوعٌ يشتمل على كلّ الأجناس الأدبية ويقصد إلى فئةٍ بعينها. ومن المصطلحات الناشئة عن تقسيم الأدب، مصطلح الأدب النسائي، ويُطلق هذا المصطلح على كل ما كتبه النساء من فنون أدبية، وقد ميّز البعض بين مصطلحي (الأدب النسائي) و (الأدب النسوي). فجعلوا الأدب النسائي شاملاً لكتابات النساء عمومًا، أمّا الأدب النسوي أو الكتابة النسوية فخصّوا به الكتابة عن قضايا النساء وهمومهنّ ويرتبط مصطلح (نسوي) في معناه بالخطاب التنويري الذي ساد في أوروبا ونادى بمناصرة حقوق النساء.

أما أدب الأطفال: فيمكن تعريفه بأنه: "خبرة لغوية في شكل فني، يبدعه الفنان، وبخاصة للأطفال فيما بين الثانية والثانية عشرة أو أكثر قليلاً، يعيشونه ويتفاعلون معه، فيمنحهم المتعة والتسلية، ويدخل على قلوبهم البهجة والمرح، وينمي فيهم الإحساس بالجمال وتذوقه، ويقوي تقديرهم للخير ومحبه، ويطلق العنان لخيالاتهم وطاقتهم الإبداعية، ويبني فيهم الإنسان". كما يعرف أدب الأطفال بأنه: "شكل من أشكال التعبير الأدبي، له قواعده ومناهجه، سواء منها ما يتصل بلغته وتوافقها مع قاموسه الطفل، ومع الحصيلة الأسلوبية للسن التي يؤلف لها، أم ما يتصل بمضمونه ومناسبه لكل مرحلة من مراحل الطفولة، أم يتصل بقضايا الذوق وطرائق التكنيك في صوغ القصة، أو في فن الحكاية للقصة المسموعة". ويعرّف في مجموعته بأنه هو: "الآثار الفنية التي تصور أفكاراً وأحاسيس وأخيلة تتفق ومدارك الأطفال وتتخذ أشكال القصة

والمسرحية والمقالة والأغنية". وفي ضوء ما سبق، يمكن أن نجد لأدب الأطفال في المرحلة العمرية التي يدور حديثنا حولها، مفهومين رئيسيين:

١. أدب الأطفال بمعناه العام: وهو يعني الإنتاج العقلي المدون في كتب موجهة لهؤلاء الأطفال في شتى فروع المعرفة؛ مثل: كتب الأطفال العلمية المبسطة، والمصورة، وكتبهم الإعلامية، ودوائر المعارف الموجهة إلى الأطفال.

٢. أدب الأطفال بمعناه الخاص: وهو يعني الكلام الجيد الذي يحدث في نفوس هؤلاء الأطفال متعة فنية سواء أكان شعراً أم نثراً، وسواء أكان شفويّاً بالكلام، أم تحريراً بالكتابة؛ مثل قصص الأطفال ومسرحياتهم وأناشيدهم وأغانيتهم وما إلى ذلك.

أمّا أدب الدّعوة الإسلاميّة هو: هو كل أدب يصدر عن عاطفة الإسلام - شعراً أو نثراً - وقد يكون مدحاً أو هجاءً أو حماسة، أو حكمة، يراذُ به وجه الله وخدمة دينه الحنيف. وهناك كذلك ما يُسمّى بأدب الرّحلات نوع من الأدب الذي يصور فيه الكاتب ما جرى له من أحداث وما صادفه من أمور في أثناء رحلة قام بها لأحد البلدان. وتُعد كتب الرحلات من أهم المصادر الجغرافية والتاريخية والاجتماعية، لأن الكاتب يستقي المعلومات والحقائق من المشاهدة الحية، والتصوير المباشر، مما يجعل قراءتها غنية، ممتعة ومسلية. عدد كبير من الروايات والقصص يمكن أن يندرج بصورة ما تحت مسمى أدب الرحلات، فهذا المسمى الواسع كما نرى قادر على استيعاب أعمال ابن بطوطة وابن جبير و ابن فضلان وماركو بولو داروين وأندريه وأرنست همنجواي ونجيب محفوظ، رغم التباين الكبير فيما بينهم؛ لأن الفكرة التي تجمعهم هي فكرة الرحلة نفسها، الرحلة الزمانية أو المكانية أو النفسية.

عناصر الأدب

الأدب بطبيعته متصل اتصالاً مباشراً ووثيقاً بأنحاء الحياة المختلفة، سواء المتصلة بما يمس الشعور أو بما يمس العقل و الحاجات الماديّة، و بهذا يكون الأدب هو روح العصر و نتاج المجتمع لأنه يصور ميزات الأمة التّفسيّة و العقلية، و عيوبها و مثاليّتها و محاسنها، و احوالها السياسية و الاقتصادية. و لتصوير هذا أو بعضه كان على الأدب أن يجمع بين عناصر أربعة هي أربعة: العاطفة، و الخيال، و الفكرة ، و الأسلوب.

١/ العاطفة: و هي الحالة الوجدانية التي تدفع الإنسان إلى الميل للشيء ، أو الانصراف عنه ، وما يتبع ذلك من حب أو كره ، وسرور أو حزن ، ورضا أو غضب . و قد تنبه لها نقادنا القدماء. فابن رشيق مثلاً يقول في كتاب (العمدة في محاسن الشعر و نقده) أن قواعد الشعر أربعة هي الرغبة و الرهبة و الطرب و الغضب. فمع الرغبة يكون المدح و الشكر، و مع الرهبة الاستعفاف أو الاعتذار. و مع الطرب يكون الشوق و رقة النسيب. و مع الغضب يكون الهجاء و التواعد و العتاب الموجه. و الأدب يعتمد على عنصر العاطفة بشكل كبير و لهذا نجد هذا العنصر مقترناً غالباً بماهية الأدب. و من عادة الفنّون أن يكون للشعور فيها دور كبير. و يرى البعض أن العاطفة هي التي تُكسب العمل الأدبي صفة الخلود. فقد قال البعض بأنه لا بد أن تكون العاطفة صادقة و سامية. و أن لا يعتمد الأدب على تنشيط العواطف المريضة كما يحدث في الأدب المكشوف، و صدق العاطفة يعني بُعدها عن الزيف و المبالغة. و الإدعاء و الإنفعال الكاذب.

٢/ الخيال: يُطلق في اللغة على الطيف و الظل. و قد يُطلق على الوهم فيقال خيّل له كذا و كذا. أمّا في الاصطلاح فهو أحد الملكات العقلية التي تجسد المعاني و الأشياء والأشخاص ، وتمثلها أمامنا حتى تثير المشاعر وتهيج الإحساس. وهو عنصر أصيل في الأدب كله ، وفي الشعر بوجه خاص . وهو يقل في شعر الحكمة مثلاً، ويكثر في الأغراض الأخرى للشعر الوجداني كالغزل و الرثاء...

وتتجلى أهمية الخيال حينما نرى كيف يبدع الشاعر في تصوير مشاهد مألوفة في حياتنا ، قد اعتدنا على رؤيتها، لكن الشاعر يبت فيها الحياة والحركة ، ويصورها و كأنها ماثلة أمامنا.

٣ / الفكرة أو المعنى: من الطبيعي أن يتضمن العمل الأدبي فكرة أو معنى يقوم عليه، و نحن لا نريد من الأديب أن يجعلنا نفكر بقدر ما نريد منه أن يجعلنا نشعر و ندرك حقائق الأشياء من خلال الإحساس. و حديثنا عن الأفكار أو المعاني لا يعني أنها ممكن أن تُفصل أو تُلاحظ بشكل مُنفصل. فالعمل الأدبي وحدة واحدة لا تتجزأ. و لا يمكن أن نرد الجمال فيه لجمال الفكرة وحدها أو لجمال اللفظ وحده.

٤ / الأسلوب: و هو الطريقة التي يلجأ إليها الأديب للتعبير عن الأفكار و العواطف، أو هو القالب الذي يصب فيه الأديب هذه و تلك. فالأسلوب : صورة عامة تطبع الكلام بطابع خاص.

المصادر الأدبية و اللغوية

تمهيد:

حين نقول "المصادر الأدبية" إن هذا يقتضينا الوقوف عند هذه التسمية و قفة قصية لكي نرى ما يمكن أن يكون هناك من فوارق بين مصطلح "المصادر" و المصطلح الآخر الذي يكثر استخدامه كذلك و هو مصطلح "المراجع". فمن الدارسين من يرى أن المصدر هو "كلّ كتاب تناول موضوعاً و عالجه معالجة شاملة عميقة ناو هو كل كتاب يبحث في علم من العلوم على وجه الشمول و التعمق، بحيث يصبح أصلاً لا يمكن لباحث في ذلك العلم الاستغناء عنه كالجامع الصحيح للبخاري، و صحيح مسلم هما أصلاً و مصدران في الحديث النبوي، فيما تعد كتب الأحاديث المختارة كالأربعين النووية، من المراجع في ذلك. و ككتاب الكامل للمبرد ، و صبح الأعشى للقلقشندي، فهي أصول و مصادر في الأدب، و غيرها مما أخذ عنها مرجع. و مثل هذا نقول في تاريخ الطبري سيرة ابن هشام كلها أصول و مصادر في بابها، و ما اقتبس أو استمدّ منها مرجع في بابه".

و معنى هذا أن المصدر يحتوي على المادة الأصلية و المرجع هو الكتاب الذي رجع فيه صاحبه إلى هذه المادة في مصدرها و أفاد منها. و باحث آخر يؤكد معنى المصدر هذا حين يقول: "فالصدر أصدق ما يكون حين يطبق على الآثار التي تضمّ نصوصاً أدبية، شعراً أو نثراً لكاتب واحد أو مجموعة من الكتاب، لشاعر فرد أو لطبقة من الشعراء، أو لخليط من كتّاب و شعراء و خطباء، رويت هذه الآثار شفاهاً، أو دونت في كتب أو نُقشت على الأبنية، ووصلتنا دون تعليق على النصّ أو تفسير له، دون تمهيد له اة تعليق عليه". أمّا المرجع عند هذا الدارس: "هفو ما يساعد هلى فهم النصّ الأدبي و توضيحه و تفسيره و تقويمه".

و من جهة أخرى نجد محاولة لحل هذا الإشكال عن طريق استخدام مصطلح إضافي. فالنسبة للمعاجم و دوائر المعارف و كتب الطبقات و كتب التراجم و ما أشبه يطلق عليها مصطلح "المراجع العامة"، في مقابل المراجع الخاصة، التي يتصل كلّ منها بفرع بعينه من المعرفة، أو بموضوع بعينه لا يعدوه إلى سواه. و من ثمّ يعد كتاب ككتاب الأغاني، لأبي فرج الأصفهاني، مرجعاً عاماً في حين يعد كتاب ككتاب "شعر الغناء في المدينة" مرجعاً خاصاً.

و هناك أيضاً "المراجع الأصلية"، و يقصد بها تلك المؤلفات التي كتبت حول المصادر في الزمن الذي صنّف فيه هذا المصدر، أو في زمن قريب منه. و من ثمّ يصبح شرح المرزوقي لحماسة أبي تمام، أو شرح الأنباري لمفضليات الضبيّ، مرجعاً أصلياً لفهم هذه الأشعار، و هذا في مقابل ما يُسمى بالمرجع المساعد، و هو المرجع الذي لا يتصل أصلاً بمادة المصدر و لكنه يمكن الإفادة منه بطريقة غير مباشرة في إلقاء الضوء عليها.

و قد تصنّف المراجع تصنيفاً آخرّاً وفقاً لقدمها و حداثتها، فيقال مرجع قديم و مرجع حديث، و المرجع الحديث يفيد غالباً من المرجع القديم. فكتاب الكامل للمبرد مرجعاً قديماً في أدب الخوارج و غيره، في حين أنّ كتاب أدب الخوارج للدكتورة سهير القلماوي مرجعاً حديثاً. أمّا بالنسبة للمصادر فغنها تصنّف كذلك في نوعين متميزين، دون أي اعتبار للقدم و الحدّثة، هما المصادر الأساسية و المصادر المساعدة. فالمصادر الأساسية: هي التي استهدف بها أصحابها الجانب الأدبي بدءاً. و أنّ المصادر المساعدة فهي التي: "تتمثل في نصوص ادبية و هائلة، مبثوثة في مضانّ غير أدبية، من المعاجم و كتب النحو و اللغة او الجغرافيا و التاريخ". و كذا نحصل على المصطلحات التالية: المراجع العامة-المراجع الخاصة-المراجع الأصلية-المراجع المساعدة-المراجع القديمة-المراجع الحديثة-ثمّ المصادر الأساسية و المصادر المساعدة.

تعريف المصادر:

. المصادر في اللغة:

المصادر جمع مصدر ، والمصدر يقوم على ثلاثة حروف أصول ، هي : الصاد والذال والراء، قال ابن فارس : إنهما أصلان صحيحان أحدهما يدل على خلاف الورد ،والآخر صدر الإنسان وغيره ... فالأول قولهم : صدر عن الماء ، و صدر عن البلاد ، إذا كان وردها ثم شخص عنها.

. المصدر في الاصطلاح:

هو كل كتاب تناول موضوعاً وعالجه معالجة شاملة عميقة ، أو هو كل كتاب يبحث في علم من العلوم على وجه الشمول والتعمق ، بحيث يصبح أصلاً لا يمكن لباحث في ذلك العلم

الاستغناء عنه. أما المرجع هو الكتاب الذي يستقي من غيره فيتناول موضوعاً أو جانباً من موضوع فيبحث في دقائق مسأله ومقاصده، ويشكل على هذا التفريق أن المناط المناسب في تحديد المصدر هو أصالة المادة ، وليس الشمول للموضوع . كما أن الزمن كذلك لا ينبغي أن يكون معياراً لتحديد الفرق بين المصدر والمرجع، لأنه قد يكون المصدر حديثاً لأنه يعتبر أقدم ما يحوي مادة الموضوع.

المصادر الأدبية: هي الأساس التي يستمد منه الباحث مادة بحثه و يأخذ عنها الكثير من أفكاره، ويقتبس منها آثار المعرفة الإنسانية فيما يريد تناوله من فكر أو موضوع، فبواسطة هذه المصادر نقف على آراء الأقدمين و المحدثين و المعاصرين، و عنها نأخذ كلما نرى من أفكار الدارسين و الباحثين و الناقدين، و من هنا صح قول الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي في مقدمة كتابه " البحوث الأدبية مناهجها و مصادرها" إن المصادر الأدبية "هي الثمرة الناضجة التي يقطف منها العالم و المتعلم كل ما يشاء ان"، و لما كانت المصادر الأدبية متنوعة بتنوع فنون الأدب أصبح من اللازم لدراسة المصادر الخاصة بكل فن من فنون الأدب أن تسبقها دراسة خاصة لطبيعة هذه الفنون و المجال الذي يشتغل فيه كل منها و كذلك معرفة تطورها التاريخي.

المصادر اللغوية: و ترجع جذورها إلى فترة ما بعد الفتوحات الإسلامية و سيادة اللغة العربية في بلاد واسعة و نطق الأعاجم مما أدى إلى ظهور اللحن و الخطأ في التركيب اللغوي، مما دفع العلماء إلى جمع و تدوين اللغة محافظة على لغة القرآن و الحديث كما قاموا بوضع كتب تتعلق بالنحو و الصرف و البلاغة قصد حماية اللغة و الحفاظ على سلامة اللسان العربي.

نماذج من المكتبة الأدبية :

⊞ المفضليات: للمفضل بن محمد بن يعلى الضبي (ت ١٦٨ هـ). يعتبر كتاب المفضليات من أقدم المختارات التي وصلت إلينا، ويتضمن مائة وثلاثون قصيدة في طبعها الأخيرة بتحقيق الأستاذين أحمد محمد شاكر و عبد السلام هارون. و"مما تمتاز به مجموعة المفضليات أن قصائدها من الأشعار القديمة لستة وستين شاعرا من الجاهليين ليس بينهم سوى عدد قليل من المخضرمين وأوائل الإسلاميين "

⊞ الأصمعيات: لأبي سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الله بن علي الأصمعي. عبارة عن مختارات شعرية سمية بالأصمعيات نسبة للأصمعي حتى يتم التمييز بينها و بين المفضليات .

⊞ طبقات فحولة الشعراء: للأصمعي يعد هذا الكتاب أول أثر مكتوب وصل إلينا في النقد العربي، على الرغم من أن صاحبه لم يقصد إلى تأليفه و إنما هو إجابة شفوية مرتجلة عن سؤال تلميذه السجستاني عندما زاره هذا الأخير وهو يحتضر مستفسرا عن أفحل الشعراء، لذلك فهو إذن مرحلة شفوية أقرب منه إلى مرحلة التأليف المنظم و ترتبط مقاييس الفحولة عند الأصمعي بعناصر ثلاث:

- ١-الإجادة التامة في كل شعر على مستوى التشبيهات والتراكيب البلاغية.
- ٢-تنوع الإنتاج بحيث يقول الشاعر في كل الأغراض ويركب في كل قافية.
- ٣-وفرة الإنتاج.

⊞ طبقات فحول الشعراء: ابن سلام الجمحي (٢٣١ هـ)، قراءة محمد محمود شاكر. و يظهر تأثر الجمحي بالأصمعي في هذا الكتاب الذي يعتبر ثاني مصدر نقدي من عنوانه، غير أن كتاب الجمحي يقدم مادة شعرية و نقدية مهمة، كما أن مقدمته من أنجح ما وصل إلينا من النصوص النقدية ، و تباينت مواقف الدارسين إزاء هذا الكتاب في قضيتين أساسيتين. أولهما: هل يعد عمل ابن سلام في هذا الكتاب عملا نقديا أو عملا تدوينيا، و ثانيهما: هل هو كتاب في النقد الأدبي أم في تاريخ الأدب والواقع أن أهمية الكتاب تظهر

ضمن اعتباره ضمن تاريخ الأدب لأنه يقدم مادة شعرية هائلة لأكثر من ١٠٠ شاعر بين جاهلي و إسلامي أما مادته النقدية فضامرة إذا ما قورنت بالمادة الشعرية.

⊞ البيان و التبيين: عمرو بن بحر أبو عثمان الجاحظ (٢٥٥هـ)، تحقيق عبد السلام هارون. يعتبر الجاحظ أول ناقد حاول هدم الأسس القديمة في الأدب العربي، كما هاجم تصنيف الشعراء في طبقات فنية، وهاجم اعتداد أهل النحو و اللغة للشعر الجاهلي، وطرح بديلا تمثل في احتفائه بالصورة الشعرية دون غيره.

⊞ الكامل في اللغة و الأدب: للمبرد محمد بن يزيد أبي العباس (٢٨٥هـ)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. من المصادر الأدبية العامة كذلك على غرار البيان و التبيين، فعنوانه يشي بذلك، إذ يجمع بين قضايا أدبية و أخرى لغوية ومادته يطغى عليها الإخبار و من خلال ذلك يعالج مسائل ذات طبيعة نقدية صرفة، أبرزها مسألة الضرورة الشعرية ، كما يتحدث في فصل من كتابه عن التشبيه و لكنه لم يتحدث عنه كما تحدث عنه آخرون بل اهتم به من الناحية الجمالية و ليس باعتباره قواعد منطقية متفق عليها.

⊞ قواعد الشعر: ثعلب بن يحيى أبي العباس (٢٩١هـ)، تحقيق رمضان عبد التواب. يمثل أول محاولة تدرس النص الشعري العربي دراسة علمية تصنيفية توظف معارف العصر البلاغية للعروض، مما اضطر المؤلف إلى وضع كثير من المصطلحات أدخلت في النهاية بالكتاب. ⊞ كتاب البديع: ابن معتر (٢٩٦هـ)، نشرة كراتشكوفيلسكي. حاول أن يصحح فيه خطأ شاعر في زمنه وأصبح من المسلمات وهو أن البديع من ابتكار المحدثين وليس من ابتكار القدامى وعنوانه يوحي أنه في البلاغة غير أنه من محتواه يظهر أنه يقصد بالبديع كل الأنواع التعبيرية اللغوية كانت أم المعنوية التي وظفت في إنتاج الشعر.

⊞ عيار الشعر: ابن طباطبا محمد بن أحمد العلوي أبي الحسن (٣٢٢هـ)، تحقيق عبد العزيز بن ناصر المانع، دار العلوم و النشر، الرياض. ١٩٨٥م.

فكرته المركزية هي مسألة الوزن التي تميز الشعر عن النثر و مسألة القديم والمحدث وفي تصوره أن القدماء تناولوا كل الموضوعات وطرقوا كل المعاني ولم يتركوا للمحدثين مجالاً للكلام ومن هنا اضطروا إلى السرقة من شعر القدماء، ولذلك يدافع ابن طباطبا عن سرقات

المحدثين بشكل فلسفي محض.

⊞ أخبار أبي تمام : لصولي محمد بن يحيى أبي بكر(٣٣٥هـ)، تحقيق محمد عبده غرام و خليل عساكر ونظير الإسلام الهندي. وهو مصدر عظيم غير أنه في حساب النقد تظل أخباره ضئيلة القيمة و معلوم عند النقاد أنه إذا كان الآمدي خصما لأبي تمام فإن الصولي مناصرا له.

⊞ نقد الشعر: قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي بن جعفر(٣٣٧هـ)، تحقيق كمال مصطفى. يطرح فيه تعريفا للشعر"هو الكلام الموزون المقفى الذي يدل على معنى" ويحاول تحليل هذا التعريف بثقافة عميقة جعلت بعض الدارسين يردون جذورها إلى الفكر اليوناني وخاصة فلسفة أفلاطون التي ترى أن الأشياء الحسية ما هي إلا أشباح لحقيقتها الكلية في عالم المثل وعنده أن الشعراء يريدون الوصول إلى القصيدة المطلقة من خلال تعريفه لكنهم لم و لن يصلوا.

⊞ الأغاني: لعلي بن الحسين أبي الفرج الأصفهاني(٣٥٦هـ)، تحقيق عبد الستار فراخ. يعد من أغنى كتب عصره في أخبار الجاهلية و الإسلام و بني أمية في فن الغناء العربي وتاريخ المغنيين، واستقى الألحان الموسيقية الشائعة في عصره وكذا الأشعار التي تصاحب هذه الألحان، وفي هذا السياق يستعرض كثيرا من الأخبار ويطرح قضايا لغوية وتاريخية ونقدية، ترجمة لـ ٥٠٠٠ شاعر منهم من خصص له بعض الصفحات ومنهم من خصص له كتابا كما فعل مع بشار بن برد.

⊞ الأمالي: إسماعيل بن القاسم أبي علي القالي (٣٥٦هـ)، ط ٢، نشرة دار الكتب المصرية، القاهرة عام ١٩٢٦م . يعد أساسا من كتب اللغة العربية حيث يأتي صاحبه بالنص المختار من شعر أو خطبة أو مثل لشرح ما به من ألفاظ غريبة أو اشتقاقات وفي هذا السياق ترد ملاحظات نقدية وتتميز أمالي القالي عن أمالي اليازيد و أمالي ابن الشجري و أمالي ابن دريد و أمالي أبي بكر الأنباري و أمالي الشريف المرتضى لأنها لا تعرف الاستطراد كثيرا.

⊞ الموازنة بين أبي تمام حبيب بن أوس الطائي وأبي عبادة الوليد بن عبيدة البحرى الطائي: أبي القاسم الحسن بن بشر بن يحيى الآمدي البصري(٣٧٠هـ)، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار المسيرة، (د. ط) ١٩٤٤م . من أمهات المصادر النقدية الصرفة وتكمن

أهميته في المعلومات و التحليلات والمناقشات وكذا في خطته المنهجية ، مما سيؤدي ببعض النقاد مثل محمد مندور إلى اعتبار كتاب الموازنة والوساطة الكتابين المهمين الذين خلفهما العرب ففيهما يتجلى النقد المنهجي . ومحور الكتاب هو الموازنة بين الطائفتين انطلاقا من عمود الشعر، وقد انتهى الأمدى اعتمادا على ذوقه الخاص وعلى ثقافته إلى ترجيح كفة البحري على كفة أبي تمام.

⊞ الرسالة الحاتمية في ما وافق المتنبي في شعره كلام أرسطو في الحكمة: محمد بن الحسن بن المظفر أبي علي الحاتمي (٣٨٨هـ)، نشر فؤاد البستاني، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٣١ م. يذهب الحاتمي إلى أن المتنبي قد سرق من أرسطو أفكارا وحكما فلسفية وصاغها في قالب شعري حتى أصبحت تدعى حكمة المتنبي ولذلك جاءت الرسالة مطبوعة بجدة نائرة في تعقب السقطات ، كما ألف الحاتمي رسالة أخرى هي الرسالة الواضحة في ذكر سرقات المتنبي وسقطات شعره تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر أو دار بيروت، ١٩٦٥ م. وهي أول رسالة وافية صنفت في نقد شعر أبي الطيب، فأصبحت أصلا لكل الدراسات النقدية التي جاءت بعدها، كالوساطة واليتيمة وغيرها.

نماذج من المكتبة اللغوية :

المعاجم العربية:

تعتبر المعاجم من أهم المصادر اللغوية بالنسبة لعلماء اللغة أنفسهم في أبحاثهم اللغوية، وخاصة إذا ما كانت هذه البحوث مرتبطة بفقهاء اللغة أو تاريخها، أو بالمترادفات أو بالاشتقاق اللغوي، أو بالحقيقة والمجاز، أو بالأصيل و الدخيل من الألفاظ ، أو باللهجات العربية أو بالقواعد النحوية التي تتباين استخدام القبائل للقواعد و استعمالهم للألفاظ .

تنقسم المعاجم إلى نوعين:

-معاجم الألفاظ : وهي التي تعنى بتدوين ما كان يسمع من أعراب البادية كيفما اتفق، وكذلك تحديد معناها كيفما اتفق. ومن هذه المعاجم:

⊞ أساس البلاغة: لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري(٥٣٨هـ)، دار الكتب المصرية.

ألف الزمخشري معجم أساس البلاغة لغرض بلاغي من أجل توضيح المعاني المجازية للألفاظ، لهذا فهو يذكر الألفاظ الأكثر فصاحة في اللغات، ويقدم المعنى الحقيقي للفظ أولاً ثم يثني بذكر المعاني المجازية أو ما تعارف عليه القوم منها. قد رتب الزمخشري معجمه هذا ترتيباً أبجدياً مع مراعاة أول الكلمة.

⊞ مقاييس اللغة: أحمد بن فارس بن زكريا (٣٩٥ هـ)

معجم لغوي عظيم جمعه مؤلفه معتمدا على خمسة كتب عظيمة هي: ١. العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، ٢. غريب الحديث، ٣. مصنف الغريب وكلاهما لأبي عبيد، ٤. كتاب المنطق لابن السكيت، ٥. الجمهرة لابن دريد . وما كان من غيرها نص عليه عند النقل وقد رتبته على حروف الهجاء في الحرف الأول من المادة فبدأ بالهمزة، ويجعل الحرف الثاني الذي يلي الأول . فبدأ في كتاب الهمزة بـ (أب) ثم (أت)، وفي كتاب الفاء بـ (فق) ثم (فك) وهلم جرا وقد نسبت الأبيات في الهامش إلى قائلها.

-معاجم المعاني : و هي التي تقدم الألفاظ المناسبة للمعاني ، من بين هذه المعاجم:

فقهاء اللغة: لأبي منصور عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري (٤٢٩هـ)

قسم الثعالبي كتاب فقه اللغة إلى ثلاثين بابا كبيرا، و أفرد لكل معنى أساسيا بابا خاصا يقسمه إلى فصول صغيرة تشمل فروع المعنى الأصلي، و قد "جمع في كتابه هذا بين صفتي الشمول و الترتيب، وهما الصفتان الملازمتان لفكرة المعجم".

ب الكتب النحوية و الصرفية:

الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني (٣٩٢هـ). كتابٌ عُمِدَةٌ في أصول اللغة وفقهها،

وفي النحو، والصرف. بدأ ببابٍ في مناقشة إلهامية اللغة واصطلاحيتها، وعَرَضَ لقضايا من أصول اللغة: كالقياس، والاستحسان، والعلل...والحقيقة والمجاز، والتقديم والتأخير، والأصول والفروع، واختتم بحديث عن أغلاط العرب، وسقطات العلماء.

الكتاب: أبو البشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (١٨٠ هـ)، تحقيق عبد السلام محمد

هارون. جاء مبوبا في أربعة أجزاء، بدأه المؤلف بباب في علم الكلم من العربية، واختتمه

بباب في الجر، وقد اشتمل الكتاب على ألف وخمسين بيتًا من الشعر.

خاتمة:

و هكذا يمكن القول إن المكتبة الأدبية و اللغوية العربية غنية بالمصادر الأمهات و المعاجم

المهم التي يمكن أن يستفيد منها الأستاذ و الباحث و المتعلم من أجل الرقي بمستواهم

الفكري و اللغوي و الأدبي على حد السواء وما النماذج التي تم ذكرها هنا سوى قطرات من

أمطار و ينابيع العلم التي تتفجر بها مكتبتنا العربية.

علاقة الأدب بالحياة

للأدب علاقة واضحة بالحياة، إذ إن ارتباط كل واحد منهما بالآخر حتمي لارتباطهما بكيان الإنسان. و الإنسان هو محل التجارب الحياتية وكاشف خفايا الوجود و المساهم في التّهضة البشريّة كما أنه الأساس في بناء دعائم الانسانية، و وعلى هذا فإن ما يصدر عنه أو حوله يمس حياته و يلمس نفسه، و من هنا كان عليه أن يتفاعل مع كل هذا و مع مجالات الحياة. فإنّ التجربة الإنسانية تُعدّ المحرك الرئيسي للأديب، لذلك فإنّ الأدب يأخذ قيمته من مدى ارتباطه بحياة الناس وهمومهم ومعاناتهم، وهذا النوع من الأدب هو الذي يستمد قوة الوجود ويستحق الديمومة والاستمرار. فالأديب لا يمثل نفسه فحسب، بل هو يمثلها ويمثل الآخرين، فهو يعيش في مجتمع، يتصل فيه بالناس كافة، يعرف مشكلاتهم، ويحس بها. و قد كان عرب الجاهلية يجعلون بروز شاعر منهم حدثاً احتفالياً. فالشاعر صوت قبيلته الناطق بمجدها و المدافع عنها، وليس ذلك فحسب. بل إن الشعر الذاتي الذي لا يُعبر به الشاعر إلا عن نفسه كالفخر الفردي و الغزل و الشكوى من الشيب و العاذلات و نحوه.. هو صورة لوجدان كثيرين غيره . فكل هذه تجارب إنسانية تُعمم على آخرين حتى و إن كانت تخصه.

و فكرة الربط بين الأدب والحياة لم تبرز بصورة جلية إلا في العصور الحديثة إلا أنها كانت موجودة في كل العصور القديمة؛ فالعلاقة بين الشعر والحياة قديمة قدم التعبير الأدبي. فالشعر القديم لم يكن منفصلاً أبداً عن قضايا الناس الحيوية ومشكلاتهم الاجتماعية فالشعر الصادق – مهما كان تعبيراً ذاتياً عن صاحبه – إنما يمس من قريب أو بعيد ظروف الحياة التي يعيشها المجتمع سواءً أكان الشاعر نفسه على وعي بهذه الحقيقة أم لا ولكن النقد لم يأخذ بهذا الوعي بمقدار أخذه بالاعتبارات الفنية. و هناك قصائد كثيرة لها أهميتها الكبيرة من وجهة النظر الاجتماعية فعندما نقرأ للمتنبّي والمعري وابن الرومي وغيرهم نجد ذلك التفاعل القوي بين الشاعر وظروف مجتمعه ونجد فضلاً عن القيم الفنية قيماً اجتماعية إنسانية عبّر عنها الشاعر. و هناك تساؤلات تعددت عليها الأجوبة فيما يخص علاقة الأدب

بالحياة. فهل الأدب - أصلاً - وليد الواقع الذي يعكسه الأديب ويعبر عنه؟ أم أن الأدب دلالة على موقف الإنسان وانعكاس لذاته تجاه الواقع؟ أي. هل الأدب مرآة للواقع؟ أم انعكاس لموقف الأديب من هذا الواقع؟ ولقد تعددت الإجابات منذ عصور ما قبل الميلاد، فأفلاطون يرى أن الإبداع يقوم على محاكاة الواقع، و المحاكاة من وجهة نظر أفلاطون هي التقليد فالأدب نسخة عن نسخة. و لذلك فقد اعتبر الشعراء مُقلدين و طردهم من جمهوريته الفاضلة. أمّا تلميذه أرسطو فقد بنى رؤيته على فلسفته الخاصة بالفن، فهو يرى بأن الفن محاكاة للطبيعة والإنسان، إلا أن هذه المحاكاة تختلف أدايتها باختلاف الفنون، ويتميز الأدب عن غيره من الفنون باتخاذ اللغة أداة له. و يرى أن الشعر محاكاة للواقع و لكنّ مفهومه للمحاكاة يختلف عن مفهوم أفلاطون، فهو يرى بأنّ الشعر لا يتقيد في مضمونه بالحقيقة الواقعية الدقيقة التي لا هدف لها إلا المعرفة. لأنّ مجال الشعر هو الممكن و المثال. أي تصوير ما نعتبره ممكنًا أو ما كان يجب أن يكون. فحدود الشعر هي الإمكان و المثالية للتأثير في البشر و هز وجدانهم. فمحاكاة الواقع في الأدب لا تعني نقله كما هو، فهذا نوع من التوثيق من مهمة المؤرخ و ليس من مهمة الأديب.

و في العصر الحديث نجد الناقد الإنجليزي (كولردج) يقول: "الأدب هو نقد للحياة" و هو بذلك يحدد علاقة الأدب بالحياة . فيرى أنّ ارتباط الأديب بواقعه هو ارتباط جدلي. فهو يعبر عن انفعالاته تجاه هذه الحياة و عن موقفه منها.. أما ميخائيل نعيمة فيقول، بأن "الشعر هو الحياة باكية وضاحكة، ناطقة وصامتة، مولولة ومهللة، شاكية ومسبّحة، مقبلة ومدبرة". و الإجابات و إن تشابهت ظاهريًا فإنها تختلف باختلاف اتجاهات الأدباء. فميخائيل نعيمة على سبيل المثال و إن رأى أن الأدب هو الحياة فهو لا يقصد بذلك أنّ يلتزم الأديب بالتعبير عن الحياة في عصره و هموم هذا العصر، بقدر ما يقصد بذلك أن يلتزم الشاعر التعبير عن نفسه و عن حياته و همومه، يدلّ على هذا موقفه من الشاعر أحمد شوقي الذي يتعد عن الذاتية المغرقة في شعره و يتجه بشعره للآخرين و يُعبر عن الموضوعات السياسية و الاجتماعية. يقول ميخائيل نعيمة في هذا الإطار: "إن من يرى شوقي في ميزان العقاد يشفق على شوقي، و تكاد شففته تنقلب نقمة على الناقد الذي لم يشأ إلا أن يكسر رجلي الجبار الحزفي ليرى الناس أنه من خزف". و يقصد في هذه

العبرة نقد العقاد لشوقي في كتاب (الديوان) فقد انتقد انشغال شوقي بالتشبيهات الحسية عن لباب الحقائق، وأحاسيس النفوس، وانشغل بمتابعة المناسبات عن صدق التعبير عن الحياة. فقد كان المجددون العرب المتأثرون بالأدب الغربي كالمازني و العقاد و ميخائيل نعيمة يرون بأن تعبير الأدب عن الحياة يعني تعبير الأديب عن موقفه من الحياة و تجاربه فيها تعبيراً تغلب عليه الذاتية المفرطة. في حين رأى الكلاسيكيون السابقون لهم كأحمد شوقي و حافظ إبراهيم أنّ ارتباط الأدب بالحياة كامن في التعبير عن هموم العصر و تطلعات الشعب و الوطنية و الموضوعات العامة ليكون الأدب هادفاً و معبراً في آن واحد.

و قد تبلورت بعد ذلك فكرة (الفن للحياة) أو (الفن للمجتمع). فالشاعر حينما يتعامل مع واقع حياته فإنه يتعامل معه تعاملًا إنسانياً يتماشى مع واقع مجتمعه وفهمه له. و قد نتج عن هذه الفكرة مفهوم الالتزام في الأدب. و الالتزام هو مشاركة الشاعر أو الأديب الناس همومهم الاجتماعية والسياسية ومواقفهم الوطنية، والوقوف بحزم لمواجهة ما يتطلبه ذلك، إلى حدّ إنكار الذات في سبيل ما التزم به الشاعر أو الأديب. و الالتزام في الأدب يعني أنّ لا يكون الأدب ذاتياً، بل يكون غيرياً معبراً عن الآخرين و موجهاً لهم. و قد استغلت الشيوعية الروسية مفهوم الالتزام في نظريتها الأدبية التي سميت بالواقعية الاشتراكية، فأقطاب الشيوعية أدركوا أثر الفنون بعامة، والأدب بخاصة، في بناء المجتمعات وتكوين العقول، إذ يقول ستالين: "الفنانون والأدباء هم مهندسو البشرية" .. ومن ثم فقد حرّم (النظام الشيوعي) على كل أديب أن ينتج أي لون من ألوان الأدب، يعارض المذهب الذي اعتنقته الدولة، وارتضته للشعب .. وبذلك عُدَّ الأديب المعارض للعقيدة الماركسي خائناً لأتمته وقضاياها، منحازاً إلى أعدائها. وأخذت الشيوعية تطبق مبدأ "الإلزام" القسري عن طريق سلطة الحزب أو سلطة الدولة، فهي تغدق على الأدباء الملتزمين أصناف الرتب والامتيازات بينما تضيق الخناق على غير الملتزمين، و بذلك تحول الأدب من الالتزام إلى الإلزام.

أمّا في المذاهب الحرّة الأخرى فقد ظهر مفهوم آخر مضاد للالتزام في الأدب، و مضاد لفكرة (الفن للمجتمع). و هو مفهوم (الفن للفن) القائم على فكرة تحرر الأدب من أي قيمة يمكن أن يحتويها الكلام إلا قيمة الجمال، وألا يُنظر فيه إلى معايير خلقية أو دينية أو قيم نفعية، فمهمة الأدب نحت الجمال، من أجل بعث المتعة والسرور في النفس. فهو مذهب يهدف إلى جعل الشعر والأدب فناً موضوعياً في ذاته، همه استخراج الجمال.

و خُلاصة هذا أنّ ارتباط الأدب يرتبط بالحياة ارتباطاً وثيقاً. فهو إن لم يعبر عنها و إن لم تنعكس فيه كما هي، فإنها ستنعكس فيه كما ينبغي أن تكون أو كما هي كائنة في وجدان الأديب و تفكيره.

مراجع المحاضرات:

- المدخل لدراسة الأدب-مريم بغدادادي.
في العصر الجاهلي-شوقي ضيف.
دراسات في الأدب-عبد القادر القط.
دراسات في عصور الأدب العربي-أنور حميد فشوان.
معجم النقد العربي القديم-احمد مطلوب.
تاريخ الأدب العربي-محمد حسن الزيات.
الجامع في التاريخ الأدب العربي-حنا الفاخوري.
تاريخ الأدب العربي-عمر فروخ.
المصادر الأدبية و اللغوية في التراث العربي-عز الدين إسماعيل.
مصادر المكتبة الأدبية-محمد عبد المنعم خفاجي.